المبحث الأول: صالح بن يوسف واستقلال تونس.

بعد استعراضنا في الفصل الأول لدور ابن يوسف النضالي في الحركة الوطنية ونشاطه في الحزب الدستوري الجديد منذ عودته من فرنسا إلى تونس في صائفة 1934م وكذا لأهم إنجازاته داخل الحزب وحركته لإعادة تنظيم خلايا الحزب سنحاول الآن التعرف على دوره في المسيرة التحررية لتونس.

1-المشاركة في مؤتمر ليلة القدر:

بعد رحيل " بورقيبة" إلى مصر تولى ابن يوسف رئاسة الحزب فعمد لتنظيم مؤتمر وطني يضم مختلف الأطياف بهدف توحيد صفوف الحركة الوطنية التونسية، وقد كان ابن يوسف دائم الاتصال بالشعب التونسي في جميع أنحاء البلاد، وسعى بنفسه لإعادة بناء شعب الحزب وخلاياه وترأس الاجتماعات العامة، فجمع بين عمله الحزبي والجماهيري كما شعر ابن يوسف بأن الشعب التونسي مستعد لمنازلة فرنسا، فأراد تنظيم صفوفه ومد القنوات بين فئاته لتزداد تلاحما وقوة، وذلك من خلال تجذير العمل الوطني بدعوته لعقد مؤتمر وطني كبير يجمع مختلف الشخصيات النضالية الوطنية[1].

وقد عقد المؤتمر في 27 رمضان 1365هـ الموافق لـ 23 أوت 1946م[2] بتونس العاصمة، بحضور مختلف التيارات الوطنية "ممثلي الحزبين الدستوريين القديم والجديد، مشايخ الزيتونة وطلابها، القصر الملكي ..." وقد ترأس المؤتمر القاضي المرحوم " لعروسي الحداد" وحرس المنظمون" على سرية المؤتمر ولتضليل الشرطة الفرنسية عقد " علي الزليطي" اجتماعا عاما في مكان آخر بالعاصمة وكلف بعض الشبان بالحراسة وسادت الأمور في مجراها الطبيعي، فافتتح المؤتمر " لعروسي " بكلمة قصيرة بقوله " **لقد أصدرت أحكاما كثيرة خلال حياتي القضائية، وها انا أختمها الليلة بحكم**

---

[1] منصف الشابي: المرجع السابق، ص–ص، 105-106.

[2] سمي بمؤتمر ليلة القدر لأنه تصادف مع ليلة القدر المباركة عرف أيضا بمؤتمر الاستقلال لأن جميع الحاضرين طالبوا بالاستقلال، وكان عددهم الإجمالي في المؤتمر حوالي 300 شخصية، انعقد بأحد منازل الوطنيين من أبناء المطوية وهو " محمد بن جراد زنقة الذهبي " بالقرب من مقر الإذاعة آنا ذاك – للمزيد أنظر محمد عبد الكافي : رحلة عبر الكفاح الوطني (مذكرات)، دار الغرب الإسلامي، مطبعة المعرفة الجديدة، الرباط، 2004، ص، 77.

الإعدام ضد الإستعمار والحضور الفرنسي بتونس"وبعده أتيحت الكلمة " لصالح بن فرحات، فبين مراحل الجهاد في الماضي وما آل إليه وضع البلاد ، ثم صاغ ابن يوسف اللائحة التي تقرر عرضها على المؤتمرين.[1]

وبالرغم من اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سرية المؤتمر إلا أن الجيش الفرنسي تمكن من اقتحام قاعة المؤتمر، وقد ابن يوسف يخاطب الحضور فتوجه إليهم قائلا: " **هل أنكم موافقون على إعلان استقلال تونس**" فأجابوا بصوت واحد: " **الاستقلالالاستقلال**"، ثم ألقى القبض على 50 شخصية من بين الحاضرين [2]، غير أن السلطات لم تمكن من الحصول على وثائق المؤتمر التي سلمها ابن يوسف " للهادي نويرة" لينشرها هذا الاخير وأهم ما جاء فيها: " **أن الشعب التونسي قد بلغ درجة من النضج والتقدم والرشد تجعله أهلا لتسلم مقاليد أموره وتسييرها بنفسه، لذا فإن المؤتمر يقرر من اليوم المطالبة بالاستقلال التام لا غيره**[3]،وبعد إلقاء القبض على العناصر الوطنية تم الإعلان عن إضراب عام دام ثلاثة أيام بداية من 20 أوت 1946م وشمل مختلف ربوع الوطن[4].

وكان ابن يوسف من بين المعتقلين إلى جانب "**محمود الماطري ومحمد شنيق والفاضل بن عاشور وسليمان بن سليمان، واحمد بن ميلاد، وعلي البلهوان**"، وحاول ابن يوسف تشجيع رفاقه وأثبت بقوة دفاعه عن الحزب أمام قاضي التحقيق الذي اتهمه بالتآمر على أمن الدولة، وإقرار اجتماع بدون رخصة[5]، فأجابه ابن يوسف: قائلا "**إن الاجتماع وقع بطلب من المقيم العام لعرض الإصلاحات على رفاقه في الحزب وبعض الأعيان، فكان رده مقنعا**"

---

[1] محمد الهاشمي عباس: المصدر السابق، 280.

[2] شارل اندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير – القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص–ص، 205-206.

[3] محمد الكافي: المصدر السابق، ص، 77.

[4] Ahmed kassab،Op.cit. p 454

[5] خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة الفكرية والسياسية التونسية 1900-1939، دار البصائر، الجزائر، 2009،ص80 .

وكان من نتائج ذلك تزايد شعبية صالح بن يوسف ونيله لثقة رفاقه، وقد اقتنعت سلطات الاستعمار انها لن تتمكن من مخاطبة الحركة الوطنية إلا من خلاله، وكان آخر من أفرج عنه يوم 23 سبتمبر 1946م ليتفرغ من جديد لمهامه الحزبية رغم الحصار المفروض على العمل السياسي كما اهتم ابن يوسف ورفاقه بالتركيز على قوائم الحزب لتنتشر منظماته في مختلف تونس[1].

ومما سبق يتضح لنا أن ابن يوسف أدى دورا هاما في مؤتمر ليلة القدر، والذي مثل بداية الانطلاقة لمشروعه التحرري بمطالبته بتحقيق الاستقلال التام، وقد تم هذا الامر بإجماع مختلف فصائل التيارات الوطنية.

2-موقف ابن يوسف من الخلاف الثامريالبورقيبي:

بعد خروج صالح بن يوسف من السجن واصل نشاطه السياسية لتقوية الحزب الدستوري الجديد رفقة إخوانه، وقد أصبح الحزب تحت قيادة الثلاثي العنيد والمهيب اثنان في الداخل هما صالح بن يوسف المتقن للغة القانونية وفن المساومة، والوارث عن والده الجربي كبير التجار حسن التصرف في الأموال ومعرفة الرجال وهو من عرف الوزارة مبكرا فعاشر الأمراء والبايات بلا عقد أو مراوغة، والثاني " المنجي سليم " المنحدر من العائلات البرجوازية للمماليك القادمين إلى تونس مع انتشار الإمبراطورية العثمانية، وهو رجل مقف حاذق وذكي ومرن وشديد الحساب مع نفسه ورفقائه اما ثالثهم " الحبيب ثامر" الموجود بالقاهرة.

3-دور ابن يوسف في مؤتمر دار سليم.

عاد ابن يوسف إلى تونس سنة 1948 م واعتزم تنظيم المؤتمر الثالث للحزب الدستوري الجديد أملا منه في إعطاء الشعب التونسي ثورة عن[2] وحدة طليعته النضالية فتقرر عقد مؤتمر استعجالي للحزب يوم 17 أكتوبر1948م بتونس العاصمة بدار"المنجي سليم" حضره جميع ممثلي شعب الحزب، وعدد من الإطارات والشخصيات الوطنية فألقى

[1] منصف الشابي: المرجع السابق، ص، 108.

[2] منصف الشابي: المرجع نفسه، ص، 109.

ابن يوسف خطابا شاملا قدم فيه عرضا وافيا عن سياسة الحزب وإنجازاته ومخططاته وكما تطرق لهجرة "بورقيبة" إلى القاهرة وعلاقته مع بقية أعضاء مكتب المغرب العربي وقضية الدعم المالي للمكتب، وعلاقته العادية بالديوان السياسي القائمة على التحاور المتواصل ...، وكما قدم عرضا حول انجازات الحزب بمساهمته في بعض المنظمات النقابية الوطنية ودعمها للقضية الوطنية، وأثنى على الإخوة القائمين على شؤونها لكونهم يمين الحزب وسنده القوي في جميع الظروف[1]، كما وصف ابن يوسف الجماعة الساعية للتفرقة (بالعمل الإجرامي)، مما أثار استنكار بعض النواب وقرروا مقاطعة المؤتمر لكن بتدخل بعض الدستوريين يمكنوا من تهدئة حدة التوتر.

وقد انقسم المؤتمرون في تدخلهم إلى شعبتين:

الفريق الأول: يمثل الأغلبية الساحقة للمتدخلين، وأشادوا بما انجزه الحزب من تنظيم للمنظمات الوطنية ودعم " الباي" للعمل الوطني.

الفريق الثاني: أثار موضوع استحواذ ابن يوسف و " المنجي سليم" على الحزب وسعيهما لإقصاء " بورقيبة" فتم تهجيره إلى المشرق، وقطع المد المالي عنه وتبجيل "الحبيب ثامر" عليه، كما تناول " احمد الخبثاني" الكلمة ولام الزعيم ابن يوسف واتهمه بالحقد على الزيتونيين، والسعي لإقصائهم من الانتماء للمنظمات الوطنية وتحمل المسؤوليات في هياكل الحزب[2].

ومن تدخلات المناضلين وتصريحاتهم نلاحظ أن أجواء المؤتمر كانت مليئة بالتشنج والرؤى المختلفة، مما يبرهن على مدى النضج السياسي الذي بلغه الحزب في ذلك الظرف من تاريخه، ورغم اختلاف وجهات النظر فقد نجح المؤتمرون في السير به نحو بر الامان مقدمين المصلحة الوطنية على الاعتبارات الذاتية والحسابات الضيقة وأحيلت الكلمة مجددا لصالح بن يوسف ليتولى الإجابة عن تدخلات المناضلين، فسحب كلمة العمل الإجرامي فتقبل الجميع هذا الموقف النبيل، وقد أجاب الزهين وأفاد وأقنع

[1] علي المعاوي: ذكريات وخواطر، سلسلة مذكرات، جامعة منوبة المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2007، ص-ص، 275-275.
[2] المصدر نفسه: ص- ص، 275-276.

ببلاغة الزعيم المقتدر الواثق من نفسه المطمئن لنقاوة سريريته، وبفضل حنكته وصدق أعماله ونيته في خدمة القضية الوطنية يمكن ابن يوسف من حل تلك الخلافات وإرضاء الجميع بأجوبته المقنعة[1].

وبعد النقاشات المتواصلة جاء دور انتخاب أعضاء المجلس المالي للحزب وأعضاء الديوان السياسي فرغب الكثيرون في الترشح، وبما ان العدد محدود فاز من الشق المعارض: "بلحسين جراد" و" الهادي نويرة" أما أعضاء الديوان السياسي فاقترح ابن يوسف إسناد رئاسته للزعيم "بورقيبة"، لأن صفة كاتب عام للحزب لا تولى أي اهتمام من الإخوة بالمشرق، وهذا حرصا منه على إبراز قيمة "بورقيبة" بالمهجر، وقد اجمع الحاضرون على رئاسة "بورقيبة" للحزب[2]، وأما ابن يوسف فتولى الأمانة العامة، ورغم اقتناع الأغلبية بأن ابن يوسف هو الأجدر بتحمل الرئاسة لقدراته وكفاءاته النضالية، وأقر المؤتمر في الختام دعوة الشعب التونسي لإعلان العصيان المدني، وأوكل لأعضاء الديوان الرئاسي مهمة القيام بجولة داخل البلاد لشرح مقررات المؤتمر للأطياف الشعبية ودعمها للحزب وقت الحاجة.

ورغم إقرار المؤتمر وبدافع من "صالح بن يوسف" بإسناد الرئاسة الحزبية "لبورقيبة" إلى ان هذا الأخير يصفه بمؤتمر الخيانة والغدر، كما أن انصاره في الداخل" **الهادي نويرة، وعلالة العويتي، و محمد شرشور، والشاذلي قلالة** " كانوا يراسلونه دائما يشعرونه بخطورة بقائه في مصر، وان ابن يوسف وحلفائه يعملون على إقصائه من الحزب، وقد استولى عليه " المنجي سليم" و ابن يوسف في غيابه، فأرسل "علالة العويتي" و" محمد شرشور" مراسلات ينذرون " بورقيبة" بضرورة العودة إلى تونس[3]، وإن موقف " بورقيبة " السلبي من المؤتمر يرجع إلى خوفه من إقصائه من ريادته للحزب وضياع الزعامة من يده خاصة وان رئاسته أصبحت شرفية لأن السلطة الفعلية لم تعد في يده.

[1] عمار السوفي: بني خداش وجيرانها عبر الحركات النضالية (من الحركة التمردية إلى المقاومة اليوسفية)، ط1، تونس، 2001، ص44.

[2] علي المعاوي: المصدر السابق، ص،277.

[3] الحبيب بورقيبة: حياتي، أرائي، جهادي، نشريات كتاب الدولة للإعلام، تونس، 1978، ص، 170.

ومما سبق يتضح لنا أن ابن يوسف أدى دورا هاما في مؤتمر ليلة القدر، والذي مثل بداية الانطلاق لمشروعه التحرري بمطالبته بتحقيق الاستقلال التام، وقد تم هذا الأمر بإجماع مختلف فصائل التيارات الوطنية.

المبحث الثاني: موقف فرنسا من صالح بن يوسف.

على إثر فشل الجامعة العربية في دعم القضية التونسية لإنشغالها بأولوية القضية الفلسطينية وصراعها مع إسرائيل، وأمام هذه الأجواء في الخارج والتطورات الداخلية قرر " بورقيبة العودة إلى تونس وقد تمكن صالح بن يوسف في ظرف خمس سنوات من تحقيق برنامجه بالكامل، وتخطى كل الصعوبات بفرض نفسه كبديل "لبورقيبة" في الحزب وكرمز جديد للحركة الوطنية، ورغم واجهة ابن يوسف إثر هجرة "بورقيبة" لمعارضة حزبية تزعمها "سليمان بن سليمان ويوسف الرويسي"، لكنه تمكن من إعادة ترتيب البيت مستعينا بتأييد "على البهلوان'، و"الباهي الأدغم"، ليتوج عمله الحزبي بتنظيم مؤتمر دار سليم المذكور سابقا[1].

وإثر الانتصار الحزبي لابن يوسف بعد هذا المؤتمر كثف جهوده اتجاه العام التونسي بمختلف أطرافه من القصر إلى النقابات العمالية، والطلاب مرورا بالوجهات وبعد أن قرر "بورقيبة" العودة إلى تونس لخوفه من غلبة ابن يوسف وبداية تمكنه من إخراجه عن دائرة التأثير الجماهيري[2]، وتحسبا لانعقاد المجلس الوطني للحزب في 02 اوت 1949م، عاد بورقيبة إلى تونس يوم 08 سبتمبر1949 م، رغم محاولة الكثيرين إقناعه بعدم العودة، ومنهم صالح بن يوسف بقوله:(انتظر قليلا ريثما تهدأ بعض الخلافات[3]، وكانت عودة "بورقيبة" إلى تونس إثر اتصاله بالسفارة التونسية بالقاهرة التي أبدى لها استعداد التفاوض مع فرنسا على أساس منح تونس الإصلاحات مقابل عقد معاهدة تخول عدة امتيازات استراتيجية واقتصادية، فكان هذا هو السبب الحقيقي لعودته

[1] الصافي سعيد: المرجع السابق، ص،148.

[2] عباس محمد: الهاشمي، بورقيبة– ذكريات ومذكرات، ج1و2، ط1، ميديا كوم للنشر، تونس، 2010، ص، 137.

[3] الصافي سعيد: المرجع السابق، ص–ص، 149-150.

وليس بسبب خيانة ابن يوسف و" المنجي سليم" للحركة الوطنية كما ادعى للسلطات المصرية[1].

وبعد عودة "بورقيبة" إلى تونس باشر نشاطه السياسي باتصاله المباشر بالجماهير الشعبية، وجميع مناضلي الحزب الدستوري الجديد داعيا إياهم إلى ضرورة الاستعداد للمرحلة الحاسمة، والالتفاف حول الحزب وحول شخصه بالذات للدفاع عن القضية التونسية، فطلب من جميع القوى الوطنية ضرورة الاستعداد للكفاح مثل الاتحاد التونسي للشغل[2]، واتبع "بورقيبة" سياسة المهادنة مع فرنسا التي عابه كثيرا على صالح بن يوسف وعندما كان بالقاهرة قدم برنامجه الإصلاحي في سبع نقاط[3]، وبعد تعيين المقيم العام الجديد "بيريليه" صرح:" **بأن مهمته هي موصلة ما بدأه مونس لقيادة تونس الحكم الذاتي**"، لذلك اقترح "بورقيبة" أن يكون ابن يوسف في قلب تلك المفاوضات.

وهكذا تشكلت أول حكومة تونسية برئاسة " محمد شنيق" في 17 أوت 1950م وتضم كل من : " صالح بن يوسف وزير العدل" و " محمود الماطري" وزير دولة" و " محمد صالح المزالي" وزير التجارة والصناعة" و محمد بن سالم" وزير الصحة و "محمد بدره" وزير الشؤون الاجتماعية و "محمد سعد الله" وزير الفلاحة[4].

وأعلين رسميا أن مهمة هذه الحكومة تتمثل في محاورة فرنسا لأجل إيجاد سبل دخول تونس مرحلة الاستقلال الداخلي، وخلال هذه المهمة تميز ابن يوسف، بحركتيه المنتظمة، فكان يجمع بين مهامه الحزبية ومهامه الحكومية، وكان يجمع المكتب السياسي للحزب في كل المناسبات لاستشارته حول المواقف التي يجب اتخاذها[5]، وبمشاركة ابن يوسف في هذه الحكومة التفاوضية ستنقلب الأدوار في قيادة الحزب، إذ أصبح ابن يوسف المتصلب والمنادي بالاستقلال التام مفاوضا لفرنسا، وغدا "الحبيب بورقيبة" العائد مستسلما

[1] الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة– 1830-1956، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ص، 76.

[2] علي البلهوان: تونس الثائرة، المطبعة العالمية، القاهرة، د.س، ص، 124.

[3] Ahmed kassab. Op.cit. p. 464.

[4] شارل اندري جوليان: المرجع السابق، ص، 223.

[5] عمار السوفي: المرجع السابق، ص–ص، 46،54.

لفرنسا مقدما برامج التفاوض والحوار السلمي ليغتنم فرصة ثقة فرنسا، ويتجول في تونس ليعيد تلميع صورته التي فقدت بريقها بعد غيابه في المشرق.

يتبين مما سبق أن مشاركة ابن يوسف في الحكومة التفاوضية كانت بغرض المحافظة على وحدة الحزب الدستوري الجديد بمساندته لبرامج "بورقيبة"، والسعي لتدويل القضية التونسية في المحافل الدولية وبدرجة أولى في هيئة الأمم المتحدة، وتجسد هذا بمشاركة ابن يوسف في بعثة وزارية سنة 1952م لعرض القضية التونسية على الأمانة العامة للأمم المتحدة.

بعد فشل المفاوضات الفرنسية التونسية بإرسال وزير الخارجية الفرنسي " روبار شومان"[1] مذكرة بتاريخ 15ديسمبر 1951م إلى الوزير الأكبر " محمد شنيق"، وتؤكد على ازدواجية السيادة وارتباط تونس الدائم بفرنسا لم يبق أمام العمل الوطني إلا أسلوب المجابهة العنيفة، وخاصة بعد فشل أسلوب الحوار الدبلوماسي السلمي، فعاد الوفد التونسي إلى البلاد في 24 ديسمبر 1951م، وكانت أخبار الرد الفرنسي قد سقته فبدأت الاحتجاجات على السياسة الفرنسية تضم جميع الأوساط، وأثناء عودة "بورقيبة" إلى تونس في 04 جانفي 1952 م سعى ابن يوسف لاستقباله رفقة الديوان السياسي، وارتفعت أصوات المواطنين بالنداء لضرورة تدويل القضية في الأمم المتحدة.[2]

وقد أدى ابن يوسف في هذه المرحلة دورا حاسما في دفع الحكومة والحزب إلى خط المجابهة، وأبى أن يتحمل بنفسه تدويل القضية التونسية، فسافر رفقة "محمد بدرة" وزير الشؤون الاجتماعية لنيويورك وقدما بتاريخ 14 جانفي 1952 م عريضة إلى الأمانة العامة[3] لهيئة الأمم المتحدة، كما كانت "لمحمد بدرة" وابن يوسف لقاءات عديدة مع الأحزاب والقوى السياسية والشخصيات المؤثرة في الساحة الفرنسية، فعقد ابن يوسف ندوة صحفية عبر فيها عن استياء الشعب التونسي من السياسة الفرنسية، وإعلاميا قدم

[1] روبار شومان: (1886-1993)م تقلد عدة مناصب سياسية كوزير للمالية، رئيس النواب ووزير للخارجية عرف بنضرته للفكر الوحدوي (الاتحاد الفرنسي، والوحدة الأوروبية) ينظر عروسية التركي: المرجع السابق، ص،59.

[2] ثلة من الأساتذة: المرجع السابق، ص، 188.

[3] كانت مجتمعة بباريس بقصر شايو كما لحق بالوفد أعضاء عن الحزب الحر الدستوري القديم يتركب من السادة محي الدين القلي مدير الحزب، صالح حماش وأحمد بن ميلاد. ينظر- منصف الشابي، المرجع السابق، ص،122 .

ملفات مفصلة عن القضية التونسية لمختلف الصحف، كما رفض ادعاءات ممثلي الحكومة الفرنسية بأن العلاقات الخارجية التونسية تقع تحت نظر السلطات الفرنسية باعتبار اتفاقية الحماية، معتبرا أن هذا الكلام قد تجاوز الزمن وأن مواثيق الحماية لم تلغ السيادة التونسية في أي فصل من فصولها[1].

- الموقف من استقلال تونس وسبل دعم الثورة الجزائرية:

وقد كثف الوطنيون المغاربة نشاطهم وتنسيقهم للدفع بقضيةالتحرر في البلدان المغاربية الثلاثة التي أكدت ما بين سنتي 1945-1954م على تصعيد العمل الوطني المغاربي الموحد كتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي، وكما تعددت مناسبات التآزر والتضامن بين الشعوب المغاربية "تضامن حزب الاستقلال وحزب الشعب الجزائري مع الشعب التونسي وأثناء اغتيال "فرحات حشاد" ، وبالتالي نتشيع القول أن الوحدة النضالية وحركة التحرير في المغرب العربي اكتملت في سنة 1954م، وهذا باندلاع المقاومة في المغرب الأقصى المتزامنة مع المقاومة في تونس منذ سنة 1952م، واشتعل فتيل الثورة الجزائرية 01 نوفمبر 1954م غير أن السلطات الاستعمارية سعت لإفشال المشروع الوحدوي لدول المغرب العربي بمنح الاستقلال لتونس والمغرب لإجهاض الثورة الجزائرية، وعزلها عن المغرب العربي[2] وقد كانت قضية استقلال تونس المحل الحقيقي

- المفاوضات التونسية الفرنسية:

وأمام تصاعد حركة المقاومة في تونس ضد المستعمر الفرنسي الذي شعر لأول مرة منذ احتلاله لتونس عام 1881 انه يواجه مقاومة شبه منظمة، ورغم بساطة عتادها العسكري (أسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية)، فأصطدم بعدة معارك عنيفة منها معركة "معركة جبل ميطر" و "بني خداش" 14 أوت 1953 معركة "جبل برقو نوفمبر 1953" هذه المعارك، وغيرها جعلت حدة التوتر تبلغ أوج درجاتها، فتكونت منظمة سرية عرفت بـــ "منظمة اليد الحمراء"، وكان الهدف من تكوينها إرهاب الوطنيين التونسيين والقيام

[1] منصف الشابي: المرجع نفسه، ص-ص، 121-122.

[2] عمار السوفي: رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعياته، تونس، جانفي 2006، ص، 59.

بتصفية رمز العمل النضالي، ولمواجهة هذه المنظمة الإرهابية كون المناضلون التونسيين " **منظمة اليد السوداء** " تضم 11 مناصل، وهكذا تصاعد الكفاح المسلح في تونس وأصبحت الحكومة الفرنسية عاجزه عن مواجهة المد التحرري، خاصة مع اندلاع المقاومة المسلحة في المغرب منذ عزل السلطان محمد الخامس في أوت 1953م، كما تورطت فرنسا في حربها بالهند الصينية من 26 أفريل حتى 07 ماي 1954م وانهت بهزيمتها في معركة "ديان بيان فو" كل هذه الاضطرابات أدت إلى سقوط الحكومة الفرنسية برئاسة "غي موليه" يوم 13 جوان 1954م، ليتولى "منداس فرانس الحكم في فرنسا يوم 18 جوان 1954م، وقد واجهته قضية المغرب العربي فسعى لإيجاد الحلول للقضية وإخراج بلاده من هذا المأزق فقام بزيارة تونس في 31 جويلية 1954م، وألقى خطاب رسمي في قصر قرطاج اعلن فيه استقلال تونس الداخلي فرحب "بورقيبة" بهذا القرار من منفاه وسارع بالسفر إلى باريس للتفاوض مع فرنسا.[1]

وبعدتصريح "منداس فرانس"[2] اجتمع أعضاء الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد في جنيف يوم 03 أوت 1954م برئاسة صالح بن يوسف وتمت الموافقة في مشاركة الحزب من جديد في حكومة التفاوض، وتم تشكيل حكومة تفاوضية[3]، برئاسة "الطاهر بن عمار" يوم 17 أوت 1954م[4]، وبدأت المفاوضات بين حكومة السيد "بن عمار" والحكومة الفرنسية في 04 سبتمبر 1954م بتونس، وتحولت المفاوضات إلى باريس في 13 سبتمبرنفس السنة، ولإنجاح المفاوضات ألغى المقيم العام الجديد بامر صدر في 04 سبتمبر 1954م قرار حل الحزب الدستوري الجديد، ونقلت السلطات الفرنسية "الحبيب بورقيبة" إلى "أميلي" جنوب باريس وسمحت له بالتجول داخل فرنسا لمتابعة سير المفاوضات، وكما اشترطت فرنسا على الحزب الدستوري ان يواجه تعليماته

---

[1] Charles-Andrée julien . et la Tunisie devint indépendante …(1952-1957).les éditions jeune Afrique. Paris.1985.p p142-143.

[2] منداس فرانس: رجل سياسي فرنسي (1907-1928)م انخرط في الحزب الاشتراكي، شارك في الحرب العالمية الثانية إلى جانب قوات فرنسا الحرة، عين في تاريخ 1954م رئيسا لمجلس الوزراء، انهى الحرب الفيتنامية باتفاقية جنيف جويلية 1954م، دخل في المفاوضات مع حزب الدستور، قدم استقالته مع حكومته في فيفري 1955م، ينظر– الطيب لباز المرجع السابق، ص، 76.

[3] تشكلت الحكومة التفاوضية من أربعة دستوريين هم: "المنجي سليم، محمد مصمودي، الهادي نويرة، الصادق المقدم، بالإضافة إلى العزيز الجلولي، الشاذلي رحيم، الطاهر الزاوش، علي بلحاج ..." ينظر محمد الهاشمي: المصدر السابق، ص، 406.

[4] محمد الهاشمي: المصدر نفسه، ص–ص، 405-406.

للثوار بوقف القتال، وتسليم أسلحتهم لسلطات الحماية خاصة بعد اندلاع الثورة الجزائرية في 01 نوفمبر 1954م، وقد استمرت المفاوضات 08 أشهر تخللتها صعوبات وخلافات بين المتفاوضين ناتجة أساسا عن تصلب المفاوض الفرنسي، الذي كان تحت تأثير المستوطنين في تونس، وكما انتقدت أحزاب اليمين " منداس فرانس" واتهموه بأن تفاوضه مع تونس حول الاستقلال الداخلي، هو الذي دفع الجزائريين للقيام بثورتهم وعوضت حكومته " أدغار فور" يوم 05 فيفري1955 م.

وانتهت المفاوضات بسلام، ووقع "الطاهر بن عمار" و "أدغار فور" بقصر" ماتينيون" مقر رئاسة الوزراء بباريس في شهر ماي 1955م، فرجع "بورقيبة" إلى تونس في جوان من نفس السنة، وبعد أيام صادق "الباي" على اتفاقية الحكم الذاتي، ثم شرع بعض التونسيين مع سلطة الحماية لترتيب تطبيق ما نص عليه الاتفاق بين الطرفين[1] وهذا ما أثار انقسام وانشقاق داخل الحزب الدستوري الجديد وبقية الأطراف التونسية.

- معارضة مشروع الاستقلال الداخلي لتونس:

انتهت المفاوضات الفرنسية التونسية باعتراف فرنسا باستقلال تونس داخليا في 03 جوان1955 م غير أنها أحدثت انقسامات داخ الحزب الدستوري الجديد فتشكل تياران متضادان داخ الحزب، الأول يمثله المكتب السياسي بقيادة "الحبيب بورقيبة" المؤيد للاستقلال الداخلي، والثاني تمثله الأمانة العامة العامة بقيادة صالح بن يوسف الرافض لاتفاقية الحكم الذاتي، كما أعلن الحزب الدستوري القديم استنكاره للاتفاقية، واعتبرها تآمر على مستقبل تونس[2]، وبعد توقيع اتفاقية الحكم الذاتي بين الحكومة التونسية التفاوضية وحكومة "أدغار فور" عاد بورقيبة إلى تونس في جوان 1955م لاستكمال مشروع الاستقلال الذاتي، إلا أنه اصطدم برفض صالح بن يوسف للاتفاقيات واعتبارها خطوة إلى الوراء، ولكن رفض ابن يوسف لمشروع الاستقلال الذاتي كان قبل توقيع اتفاقية جوان من خلال تصريحه في المؤتمر الصحفي بجنيف في 31 ديسمبر1954 م أثناء المفاوضات

[1] أحمد المستيري: شهادة للتاريخ دار الجنوب للنشر، تونس أكتوبر 2011، ص، 77.

[2] محمد علي داهش: دراسة في الحركات الوطنية الاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004، ص-ص، 60-61.

بين تونس وفرنسا بقوله: "**إن الشعب التونسي لن يرضى ابدا بحكم صوري يحول دوت تحقيق الاستقلال التاماللوطن التونسي ...**"[1]، كما صرح ابن يوسف أيضا في 03 جوان 1955م من جنيف بيانا نقلته صحيفة الأحرام المصرية " أعلن فيه مطالب التونسيون وأثار خمس نقاط تمثل الحد الأدنى الذي يقبل به الشعب التونسي لتهيئة استقلاله" هذه النقاط التي أثراها بن يوسف[2] لم تأخذ بعين الاعتبار عند، إمضاء اتفاقيات الاستقلال الداخلي[3]، واتهم صاحبها بالتصلب، لذلك لم تسمح له فرنسا بالدخول والمشاركة في المفاوضات وأجبر على متابعة الوضع من جنيف فكان على اتصال " بالمنجي سليم" لتدارس ومناقشة بعض نقاط الخلاف التي تتوقف المفاوضات بسببها[4].

إن تصلب ابن يوسف لمواقفه المعادية لبقاء السيطرة الاستعمارية، على عكس بورقيبة الذي ابدى مرونة في تعامله مع السلطات الاستعمارية، فكانت بداية للخلاف العلني بين "بورقيبة" و ابن يوسف، وبداية المراهنة المطلقة من طرف "بورقيبة" على السلطات الفرنسية، فهو يسعى إلى وضعها للخيار بين طرفين داخل التدخل لإقناع ابن يوسف للتراجع عن تصريحاته التي من شأنها إيقاف المفاوضات منهم " المنجي سليم" غير أن " الرشيد إدريس" اكد في رسالته " للطيب سليم"، أن صالح بن يوسف لن يوافق على الاتفاقيات إذا كانت تتضمن مساسا بالسيادة التونسية أو إقفالا لباب المستقبل في وجه التونسيين[5].

---

[1] عميرة علية الصغير:اليوسفيون وتحرر المغرب العربي،ط2، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 2001، ص،377 .

[2] منصف الشابي: المرجع السابق، ص، 161.

[3] النقاط الخمس التي أثارها ابن يوسف هي: 1- تحديد موعد لانتهاء العمل بكل اتفاق ينطوي على الحد من السيادة، 2- إقامة حكومة تونسية متجانسة، مع المسؤولية الكاملة عن الأمن للتونسيين بحيث لا تشترك في ذلك سلطة فرنسية عسكرية او مدنية،3- إعادة جميع السلطات القضائية التي تتولاها الآن المحاكم الفرنسية إلى القضاء التونسي دون أية تفرقة سواء من الناحية الجنسية أو المدنية4- تتولى الحكومة التونسية جميع شؤون المؤسسات التربوية ومعاهد التعليم مع السماح بوجود بعثة ثقافية فرنسية ولكن على ذات الأساس الذي على مقتضاه يصرح للبعثات الأجنبية الأخرى،5- أن يكون للحكومة التونسية كامل الحرية فانتهاج السياسة التي تراها في ميدان الاقتصاد والمسائل الجمركية على ان يراعي التوافق مع سياسة منطقة الفرنك الفرنسي، ينظر- ملحق الوثيقة رقم 06، ص، 179.

[4] عمار السوفي: المرجع السابق، ص، 77.

[5] رشيد إدريس: في طريق الجمهورية – مذكرات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص، 377.

المبحث الثالث: الصراع اليوسفي البورقيبينتائجهوانتعكاسته:

- الظروف العامة للصراع بين صالح بن يوسف وبورقيبة:

لقد ساهم في تأجيج الصراع بين الزعيمين " صالح بن يوسف " و "الحبيب بورقيبة" جملة من الظروف سواء منها العامة "الدولية والفرنسية الداخلية الخاصة بالبلاد التونسية والتي جملها فيما يلي:

أولا: الأوضاع الدولية:

إن الأوضاع التي شهدها العالم والتي لديها علاقة بتونس ساهمت سواء بصورة مباشرة وغير مباشرة في حدة الصراع بين الزعيمين ونحصر هذه الأوضاع في أربع نقط:

1- انهيار الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة:

حيث كانت مجموعة من الدولوالمناطق خارج أوروبا تحت الحكم الفرنسي بداية من سنة 1600 إلى غاية 1960م، بدأت فرنسا في تأسيس هذه المستعمرات مستفيدة من نجاحات البرتغال والاسبان في الكشوفات الجغرافية وفي القرن التاسع عشر أسست فرنسا إمبراطوريات جديدة في إفريقيا وجنوب آسيا وسقوط فرنسا تحت الحكم النازي في الحرب العالمية الثانية، بدأت الحركات التحررية في تحدي فرنسا وفي نهاية 1960م كانت معظم مستعمرات فرنسا قد تحصلت على استقلالها ماعدا مجموعة جزر تم دمجها مع فرنسا وبهذا اسقطت الإمبراطورية الاستعمارية القديمة التي كانت تتزعمها فرنسا وبريطانيا[1].

وهناك نلاحظ انه لما بدأت تنهار الإمبراطوريات الفرنسية واستعمارها، حيث ركز صالح بن يوسف على ضرورة العمل المسلح لطرد سلطة الحماية لأنها بدأت تتآكل، في حين سعى الحبيب بورقيبة إلى التقرب من فرنسا وان تعطي الاستقلال لتونس دون أي خسائر وهنا ساهم انهيار السلطة الاستعمارية في حدة الصراع بين الرجلين.

[1]Vincent coffer. French. Colonial ideas before 1789. French historical. Vol. 3. No 3 (sping.1964) p338-339.

2-تصاعد المد التحرري:

شهدت العديد من بلدان العالم ظهور حركات تحرر مناهضة ومعادية للاستعمار من بينها الهند الصينية والتي جاءت إرهاصات هذه الثورة بعد الحرب العالمية الثانية وانتهاء الشبح الفرنسي الذي لا يهزم بانهزامه من قبل ألمانيا حيث بدأ الفيتناميون يحضرون لثورتهم بقيادة "هوشي منه " ودفع به إلى إعلان الحرب على فرنسا بداية من العام 1946م.

3-استقلال بعض الدول العربية:

لقد كان لاستقلال بعض الدول العربية سببا في تأجيج الصراع بين الشخصيتين " صالح بن يوسف " و " الحبيب بورقيبة " ومن بين هاته البلدان التي استقلت لبنان 22 نوفمبر 1943م عن فرنسا وليبيا في 10 فبراير 1947م عن ايطاليا وفي 24 ديسمبر 1954م عن مجلس الوصاية البريطاني والفرنسي وسوريا في 19 أفريل 1946ن عن فرنسا، حيث كان للاستقلال هذه الدول الأثر الكبير في بروز الصراع بين الزعيمين وذلك من حيث نوعية الكفاح فاتخذ " الحبيب بورقيبة" الحل السلمي في مجابهة فرنسا، وبن يوسف اتخذ الجانب العسكري المسلح في مجابهة سلطة الحماية.

4-ظهور المنظمات الدولية والإقليمية:

إن ظهور المنضمات الدولية والإقليمية كان له الأثر الكبير في ظهور الصراع بين الزعيمين التونسيين من بين هذه المنضمات الدولية والإقليمية نجد هيئة الأمم المتحدة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية والتي كانت تدع إلى الأمن والسلم العالمي ومن حق في تقرير مصيره، هنا مربط الفرس الذي نشبت به معظم الشعوب العربية وخاصة الشعب التونسي وتمسكه بحق تقرير المصير من براثن الاستعمار[1] الفرنسي وجاءت فكرة التنظيمات الدولية والإقليمية لتنظيم العلاقات الدولية بين الدول في أطار التعاون الميادين وخاصة الاقتصادي للزيادة من تطور الدول الاستفادة من بعضهم وكانت فكرة تأسيسها

[1] عمار السوفي: المرجع السابق، ص، 79.

مستوحاة من الهيئة التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى وهي عصبة الأمم المتحدة لتكون أول منضمة مفتوحة العضوية لكافة الدول ومنفتحة على دراسة مشاكل العالم في تفاصيله الكاملة.[1]

ثانيا: الأوضاع والظروف الفرنسية:

1-انهزام فرنسا في معركة ديان بيان فو:

في نوفمبر 1953م بدأت القوات الفرنسية ببناء قاعدة للجيش حول قرية ديان بيان فو وفيما يعرف الآن بشمال غربي الفيتنام وكان الغرض من هذه القاعدة هو تعطيل حركة الجيش الفيتنامي وفي 13 مارس سنة 1953م شن حوالي 50000 جندي فيتنامي هجوما على قوات فرنسية يزيد قوامها 10000 جندي في القاعدة الفرنسية ودمروا سريعا مطار القاعدة تاركين بدورهم الفعال الفرنسيين بدون مئون كافية وقاوم الفرنسيون على الرغم من قلة عددهم الهجوم الفيتنامي لمدة 56 يوم ولكنهم اجبروا على الاستسلام في 07 ماي 1954م وانتهى القتال اوائل اليوم التالي.

2-اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر 01 نوفمبر 1954م.

ساهم اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر في غرة نوفمبر 1954م في حدة وتوتر الصراع بين بنيوسف وبورقيبة، خاصة بعدما اتخذ صالح بن يوسف الموقف الرسمي في تدعيم الثورة الجزائرية، لقد كان التونسيين حديثي العهد بالاستقلال الجزئي، الشي الذي أدى إلى تأزم العلاقات بين تونس والجزائر وبين صالح بن يوسف وبورقيبة، إن التحاق عدد كبير من مجاهدي الامانة العامة للحزب الدستوري الجديد بقيادة صالح بن يوسف الرافضين تسليم أسلحتهم لفرنسا طالبين من الطالب العربي الجزائري[2].

[1] تقرير التنمية البشرية، الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة الألماني U.N.D.P نيويورك 1999م، محمد السعيد الدقاق ومصطفى سلامة حسين، المنظمات الدولية المعاصرة، دار الدراسة الجامعية، بيروت، 1990م، ص4.

[2] القواعد الخلفية للثورة الجزائرية الجهة الشرقي 1954-1962م، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، د م ط، 2007م، ص 126.

3-اصرار التونسيين على المقاومة:

ويتضح هذا جليا في التحدي الذي قدمه الشعب التونسي وإصراره على المقاومة وذلك بالموقف الذي اتخذه صالح بن يوسف دائما وهو مواصلة الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي.

4- تخوف فرنسا من هزيمة اخرى في منطقة المغرب العربي:

اتضح هذا الأمر جليا لفرنسا، خاصة بعد هزيمتها النكراء في منطقة الهند الصينية (الفيتنام) في معركة ديان بيان فو، أصبحت فرنسا تشعر في منطقة المغرب العربي بنوع من التخوف والحذر من هزيمة اخرى في المنطقة، لأن هذه الهزيمة تؤثر عليها من الناحية العسكرية وبذلك تكون فرنسا قد فقدت مستعمراتها شيئا فشيئا، هذا بالإضافة إلى موقف فرنسا وتخوفها من تحالف الشعوب المغاربية التذي اتخذه صالح بن يوسف وتدعيمه الدائم والمستمر للثورة الجزائرية.[1]

ثالثا: الأوضاع التونسية:

1-انطلاق معركة التحرير التونسية 05-12-1952م:

انطلقت معركة التحرير الحاسمة في 5 ديسمبر 1952م والتي اعتمدت استراتيجية تعتمد على تعبئة الجماهير الوطنية وكسب تأييد الرأي العام الفرنسي والعالمي مع ازدواجية العمل السياسي والعمل العسكري والنضال حسب ما تتطلبه طبيعة المعركة وميزان القوى وظروف المقاومة الشعبية، وفي 16 ديسمبر 1952م أرسلت برقيات احتجاج إلى الحكومة الفرنسية من طرف الحزب الدستوري الجديد، وقرروا الاضطراب العام لمدة ثلاثة أيام وأظهر نجاح الاضطراب استعداد الشعب لرفع التحدي وكانت الاجتماعات الشعبية التي نضمها الحزب الدستوري الجدد ترمي إلى تعبئة الشعب التونسي وتهيئته للمواجهة الأخيرة الحاسمة نحو الاستقلال.[2]

---

[1] الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص ص 130-135.

[2] مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج7، مؤسسة هانياد، بيروت، لبنان، د ط س، ص ص 143-144.

2-موجة القمع التي اعتمدتها السلطات الفرنسية:

بعد توقيف الزعيم " الحبيب بورقيبة" خاصة وأنه عرص بنشاطاته السياسية حتى في الخارج مثل القاهرة والبلدان الأخرى بالإضافة إلى خطاباته المقنعة للجماهير هذا بدوره شكل نقطة عثر بالنسبة إلى فرنسا فقامت بتوقيفه تارة وبسجنه تارة اخرى بالإضافة إلى انطلاق المظاهرات في معظم ارجاء القطر التونسيحيث كانت هذه المظاهر تتأكد من زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد " صالح بن يوسف" والحبيب بورقيبة" [1].

3-تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تونس:

من ضعف في الاقتصاد وتدهور الحالة الاجتماعية والمعاشية للسكان، كل هذه الأوضاع ساهمت بصوة مباشرة أو غير مباشرة في حدة الصراع بين الطرفين[2]، خاصة وان الحبيب بورقيبة فتح باب المفاوضات مع سلطة الحماية الفرنسية ولم يوافقه " صالح بن يوسف" وفي هذا التوجه الذي اتخذه بشأن المرحلة الانتقالية التي ستسير إليها تونس.

لقد اعتبر الزعيم " صالح بن يوسف" المفاوضات بين الحكومة الفرنسية وسلطة الحماية الفرنسية خطوة بدورها ترجع تونس إلى الوراء بعدما سار أشواط تناضل في جميع الجبهات السياسية والعسكرية والثقافية والدينية من اجل نيل الاستقلال التام والذي لديه النكهة التونسية الخالصة.

كما اعتبر " بن يوسف" وهذا بالرجوع إلى دوره الفعال في الجانب السياسي وتعبئته العسكرية للجماهير نحو الاستقلال، أن هذه المفاوضات تعرقل مسار الحرية والاستقلال، وقد اصدر "صالح بن يوسف" تصريحا من باندونغبإندونيسيا وهو يتحدث عن الشعب التونسي" **إن الشعب التونسي يرى اليوم بعنف على الدعاية المنظمة والموجهة التي قام بها الوزراء المفاوضين في سائر البلاد التونسية لاغتصاب الشعب إن الشعب التونسي يرفض الاتفاقيات عازم على احباطها بجميع ما لديه من وسائل**[3]...".

[1] مقال لبسام حمدي: المرجع السابق، تاريخ الدخول: 20-03-2016، على الساعة 05:30.

[2] الطاهر عبد الله: المرجع السابق، صصص110-112.

[3] الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص، 114.

بقي " الحبيب بورقيبة" مصرا على موقفه من المفاوضات ووقع على الاتفاقية التي تقتضي بالاستقلال الذاتي لتونس، وكان من تصريحاته في جريدة في جريدة " فرانس ابسيرفتور" أنا راضي بما قدمته لتونس في هذه المفاوضات وراضيا بهذا الاستقلال الذاتي، وحاول إغراء " صالح بن يوسف" وإقناعه بضرورة المفاوضات، لأن " بورقيبة" كان يدرك تمام الإدراك أن " صالح بن يوسف" يشكل خطرا كبيرا له فقد قام بإرسال مجموعة من الأعضاء البارزين في الحزب الذين يثق فيهم وكان على رأسهم " المنجي سليم" لإقناع " صالح بن يوسف" وكان جواب بن يوسف الصريح بقوله " انت تهددني يا منجي بما سيفعله بورقيبة ..." وكان يقنعه بالعدول عن فكرة الاستقلال الداخلي والتراجع عن رأيه كما هاتفه وطلب منه ذلك بنفسه[1].

قام الحبيب بورقيبة بمحاولة عزله مرتبان من الحزب من الأمانة العامة له، فكانت المرة الأولى بعزله عن أنصاره وذلك بتوجيه دعوة لأنصار " صالح بن يوسف" اللاجئين في المشرق وطلب منهم العودة للوطن ونجح "بورقيبة" في استمالة البعض منهم، أما المرة الثانية فكانت بعزله تماما من الأمانة العامة للحزب في أكتوبر 1955م[2]، ولما دعى " الحبيب بورقيبة" قادة العمل العسكري المعروفين " بالفلاقة" لإلقاء السلاح وترك المقاومة عارضه " بن يوسف" في ذلك ورأى بدوره البطولي استمرار المقاومة وترك التفاهم مع الفرنسين، واستمر "بورقيبة" في طريقه ولم يبالي بآراء " بن يوسف" الذي أخذ يتهم " بورقيبة" بالعلمانية ومحاربة الإسلام واللغة العربية والهوية الوطنية وغيرها من الثوابت الوطنية.[3]

إن التوقيع على اتفاقية الاستقلال الذاتي شكلت بدورها الوتر الذي قام عليه الصراع بيت الزعيمينورغم وجود الثوريين والمعارضة وعلى رأسهم " صالح بن يوسف" الذين رفضوا رفضا قاطعا هذه الاتفاقية وبنودها إلا أنه في الأخير تم تنفيذها وصار " بورقيبة" رئيسا للوزارة التونسية وعندما مراكش الاستقلال التام في 1955م طالب

[1] منصف الشابي: المرجع السابق، ص –ص، 192-195.

[2] فتحي الذيب: عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل، مصر، ط2، 1990، ص، 143.

[3] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر لبلاد المغرب، المكتبة الإسلامية، بيروت، دمشق، عمان، ط2، 1996، ص–ص، 206-205.

التونسيين بنفس الحقوق التي حصل عليها إخوانهم المراكشيين، وبعد مفاوضات طويلة بين الفرنسيين والتونسيين حصلت تونس على سيادتها في 20 مارس 1956 م[1].

يمكن اعتبار عودة " صالح بن يوسف" إلى تونس في سبتمبر 1955 سببا من أسباب الصراع بينه وبين " الحبيب بورقيبة"، حيث عاد إلى تونس تحت استقبال جماهيري كبير من التونسيين وفي مقدمتهم "الحبيب بورقيبة" نفسه وهناك صورة في الملحق 05 تدل على ذلك الاستقبال.

لقد كانت لعودة " صالح بن يوسف" إلى تونس في هذا الوقت الذات راجع إلى عدت اعتبارات نذكر منها:

1-العمل على عدم إمضاء الاتفاقيات: حيث أبدا اغلب قيادي الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد وكان هو لا يتزعمه " الحبيب بورقيبة" بنود الاتفاقيات واعتبروها خطوة إلى الامام، في حين عارض القسم الثاني من قادة الحزب وعلى رأسهم الامانة العامة للحزب بقيادة "بن يوسف" واعتبروها خطوة للوراء، وهي مجرد مناورة من المناورات الاستعمارية تسعى إلى إطالة عمر نظام الحماية الذي بدا ينفض أنفاسه الاخيرة في ظل انسحاب فرنسا من الهند الصينية[2].

2-احداث الشمال القسنطينة في الجزائر في 20 أوت 1955 م[3] : التي جعلت منه دافع لكي ينظم المقاومة المسلحة في تونس، حيث كانت هذه الاحداث بداية انطلاقة العمل المسلح في تونس والالتفاف حول المقاومة المسلحة بقيادة " صالح بن يوسف".

3-تردي الأوضاع الداخلية والخارجية لتونس: كما اكد بوعلام السايح " رئيس المجلس الدستوري ووزير خارجية للجزائر سابقا" إن علاقة تونس وفرنسا مع وجود قوات فرنسية في بنزرت وذلك لمساعدتها في حربها ضد جبهة التحرير الجزائرية، وهذا بدوره شكل

---

[1] رأفت الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، د م ن، 1996، ص، 145.

[2] مجلة مسارات: مجلة فصيلة متخصصة تهتم بالدراسات الفلسفية والانسانية، على الموقع www.masarat.tn.net/mgazin/?p=90 تاريخ الدخول:13-03-2016 .

[3] محمد العربيالزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ج2، 1999، ص-ص، 37-38.

أزمات كبيرة خاصة وأن الحركة اليوسفية تحت قيادة الزعيم "صالح بن يوسف" كانت تنادي بجبهة مغاربية مشتركة في الكفاح المسلح ولها موقف وطني قومي عربي[1].

إن المبادرة التي قام بها "بن يوسف فور رجوعه إلى تونس قادما من مدينة روما الايطالية والتصريحات التي صرحها للصحافة التونسية حول الاتفاقيات[2]، محاولا لإبراز نقائصها، ودعى التونسيين إلى رفضها مواصلة الكفاح المسلح حتى الحصول على الاستقلال التام، جعلت "بورقيبة" يحمل غلا كبير على الزعيم " صالح بن يوسف" خاصة وإن "بورقيبة" هو الذي بادر بالمفاوضات بتوقيع الاتفاقية مع فرنسا، ويعبر "بن يوسف" عن موقفه من الاتفاقية من جامع الزيتونة عقب صلاة الجمعة في اكتوبر 1955م بقوله : "...**أحييكم من هذا المسجد الإسلامي العظيم تحية احملها لكم أعماق قلبي قد حملني إياها إخوانكم العرب المسلمين ... يريدون منكم ان تكافحوا وأن تضحوا لتحرير هذه الأرض التونسية تحريرا كاملا شاملا ويتحرر المغرب العربي كله من ربقة الاستعمار ... حتى تبقى ارض المغرب عربية مسلمة ... ويهيبون بكم أن تشدوا بعضكم بعضا كالبيان المرصوص وتقفوا وقفة رجل واحد متراصة لتحطيم هذه الاتفاقية التي اعترفت للاستعمار التي اعترفت بما لم تعترف به معاهدة الحماية ...**"[3].

لقد نجح "بن يوسف" في تكوين جبهة شعبية تدين بالولاء له، من جهته هذا العمل جعل من "بورقيبة" يقوم بجولات داخل البلاد بدافع عن الاتفاقية ويعارض التدخلات التي شنها الأمين العام للحزب الدستوري الجديد مبينا الإمكانيات التي تتيحها هذه الاتفاقيات لمواصلة الكفاح المسلح ليس في تونس فحسب بل أيضا في كل من الجزائر، والمغرب، مؤكدا أنها مرحلة انتقالية للمقاومة في الوقت بالذات، وحاول "الحبيب بورقيبة" اغراء بن يوسف وادخاله في الحكومة إلا أن هذا الأخير رفض بنود الاتفاقيات وأكد انها مضرة بمصلحة الوطن وقضية تحرير بلدان المغرب العربي.

[1] محسن الخمري: الحركة اليوسفية مجالها و حدودها 1955-1961 كلية 9 أفريل، تونس، شهادة التعمق في البحث، 2006.

[2] كما صرح بن يوسف قائلا: " إني راجع إلى بلدي لأتابع الكفاح حتى تظفر بالاستقلال" جريدة الصباح.13 ديسمبر1955 العدد1142، ص7.

[3] السوفي عمار: عواصف الاستقلال، د د ن، تونس، د ط، 2006، ص-ص، 123-124.

منذ 30 أكتوبر1955 م أسس بن يوسف مقرا للأمانة العامة للحزب 23 كيلو متر نهج الجزيرة بتونس العاصمة، الذي أصبح مكانا عاما يجتمع فيه مناصروه واتباعه، وبعد أن اتضحت صورة الصراع داخل الحزب الدستوري بين مؤيدين ومعارضين للاتفاقية دخلت البلاد في موجة كبيرة من الاغتيالات وتصفية حسابات وكان منهم سائق سيارة "بن يوسف"، حيث بعد هذه الحادثة التف حول "صالح بن يوسف" الكثير من الشعب والفروع وخاصة التيار العربي الحدوي وأصبح بن يوسف هو القائد للمعارضة ضد الدستور التونسي وضد النخبة المتفرنسة، وأصبح بشكل خطيرا على بورقيبة وأنصاره[1]تأثر الزعيم " صالح بن يوسف" بالزعيم التاريخي لمصر العربية وهو " جمال عبد الناصر" خاصة وان مصر التي عرفها " بورقيبة" ليستمصر التي عرفها " صالح بن يوسف"، وكان يحمل شعار "جمال عبد الناصر" الذي يقول " **ارفع راسك ياأخي فقد مصى عهد الاستبداد**"[2].

انعقد مؤتمر صفاقس أيام 15-18 نوفمبر 1955 للبحث في تفاصيل المشاكل التي وقع فيها زعماء الحزب بزعامة "بورقيبة" رئيس الديوان السياسي من جهة و "بن يوسف" زعيم الأمانة العامة من جهة اخرى، حيث كانت الظروف التي انعقد فيها المؤتمر أقل ما يقال عنها أنها ظروف غامضة جدا، فقد وجهة الدعوة إلى "صالح بن يوسف" إلا أنه اشترط استدعاء جميع الشعب والتنظيمات المطوية تحت لواء الأمانة العامة للحزب وطلب تأجيل المؤتمر أسبوع فرفض أنصار "بورقيبة" طلبه خوفا من أن يصبح هذا مشكل في الاوساط الشعبية[3].

ولم يبقى " صالح بن يوسف" مكتوف الأيدي فقام في نفس السنة والوقت الذي كان بعقد فيه المؤتمر ودعا إلى اجتماع الذي حضره 30 ألف مواطن رافعين لافتات تندد بالاتفاقيات وتساند نضال الجزائر، كما قام مجموعة من المقاتلين بأعمال فدائية في المناطق المتاخمة للحدود التونسية الجزائرية، إلا أن الحكومة الفرنسية لما ارتأت الكفة

[1] عروسية التركي: الحركة اليوسفية في تونس 1955-1956، دار النهى للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د ط، 2001، ص،239.

[2] معرض عبد الناصر والحلم شذرات من جيل مشروع النهضة العربية، مجلة العربي، مجلة شهرية للثقافة العلمية، تصدر عن وزارة الاعلام الكويتيه بدولة الكويت العربية، جانفي2012، ص، 152.

[3] أحمد توفيق المدني: المعارضة التونسية نشأتها و تطورها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص19 .

مالت لبن يوسف صدرت قرار مشترك بينها وبين الحزب الدستوري الجديد وحكومة "الطاهر بن عمار" بإلقاء القبض على "بن يوسف" الذي علم بذلك عن طريق احد أعوانه وذلك يوم 26جانفي 1956 وتمكن من الهرب إلى طرابلس فقامت الحكومة الفرنسية بشن حملة واسعة واعتقلت خلالها العديد من أصدقاء " صالح بن يوسف" في الفترة الممتدة بين 1956-1958م، نجم عن هذه القضية انقسام الدستوريين إلى قسمين كما تطرقنا، وأعلنت العديد من الشعب الدستورية التابعة للحزب ولائها " لصالح بنيوسف" ورأت أن الحزب انحرف عن مساره وخطه العربي والقومي بقيادة "بورقيبة"، كما اعلن في نفس الوقت بعض القادة البورقيبيين انتقادهم "للحبيب بورقيبة"[1].

وعلى الرغم من أن " بن يوسف" حاول أن يحسم الصراع مع "بورقيبة" على أرضية سياسية من خلال عقد مؤتمر تاريخي للحزب حول الاتفاقيات إلا أن "بورقيبة" لجئ إلى المواجهة العسكرية لأنه هزمته الشعارات العربية المنادية بالعروبة والإسلام المتجذر في الشعب التونسي آنذاك، والتي استقطبته الحركة اليوسفية الحاملة لواء القيادة وحركة المقاومة المسلحة في تونس، ومن بين هؤلاء القادة " الماهر الأسود" باعتباره القائد العام للجيش التحرير التونسي ومجموعات فدائية اخرى تتألف من عناصر تونسية وجزائرية من أبرزها مجموعة "رضا بن عمار" في العاصمة ومجموعة " عبد اللطيفزهير" بالساحل التونسي والتي سيتم الحديث عليها بشيء من التفصيل في مرحلة التصفية او الصراع الدموي[2].

إثر انعقاد مؤتمر صفاقس برزت بوادر الصدام المسلح بين الزعيمين فشكل بورقيبة تيارا زعامي بقيادته ينتمي أعضائه إلى مدينة المنستير والواردنين، وكانت هذه التشكيلة التي تعتبر وبالنظر إلى الأدوار التي يقوم بها حرس "بورقيبة" الخاص وترافقه إلى مختلف المدن التونسية التي كان "بورقيبة" يخطب فيها الخطابات التعبوية للشعب التونسي بعد انعقاد مؤتمر صفاقس مباشرة[3].

[1] الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص،152 .

[2] محسن الخمري: المصدر السابق، ص، 34.

[3] عمار السوفي: المرجع السابق، ص، 183.

كما كون مناصرو " صالح بن يوسف" تنظيما عسكريا أطلق عليه تسمية جيش التحرير الوطني، وذلك قبل قرار " صالح بن يوسف" إلى طرابلس، وكان جلهم من المناضلين الوطنيين الذين اكتسبوا خبرة عسكرية من خلال المواجهات العسكرية مع الاستعمار الفرنسيين وقد ضم جيش التحرير أحدى عشرة قيادة تمتد في مختلف المناطق التونسية من بينها.

1-فرقة "رضا بن عمار" مجال نشاطها تونس العاصمة.

2-فرقة " الطيب الزلاق" و "الطاهر بالأخضر" مجال نشاطها سوق الأربعاء وغار الدماء ومناطق الخمير.

3- فرقة " الهادي لسود" و "حسين بن عبد اللطيف" مجال نشاطها الروحية والكاف والقصرين كما هي موضحة في قيادة الجيش في ملحق رقم 08.

4- فرقة "الزين بن لسود" مجال نشاطها اقصى الجنوب التونسي ويشير أحد الباحثين التونسيين إن المواجهات العسكرية بين مناصري "بورقيبة" و مناصري " بن يوسف" عرفت ثلاثة مواجهات المرحلة الاولى من 1956 إلى مارس من نفس السنة ومواجهات مارس في خضم انتخاب المجلس القومي التأسيسي في 25 مارس1956 م ومواجهات شهر ماي 1956م[1].

المواقف الداخلية والخارجية من الصراع:

1-المواقف الداخلية (التونسية):

لقد انقسم الشعب التونسي بدوره إلى قسمين قسم مؤيد اتفاقيات الحكم الذاتي بزعامة "الحبيب بورقيبة" وقسم مؤيد للشق الثاني بزعامة "صالح بن يوسف" ومواصلة الكفاح المسلح.

أ-القسم الأول:

[1]m hamedoualdi. " orages des indépendances. Salah ben Youssef el les youssésistes. En Tunisie. Enter .1955-1956 " mémoire histoire université. Paris.1998-1999. P.101.

أيد معظم الشعب التونسي الحبيب البورقيبة في خطوته الأولوية على إمضاء الاتفاقيات مع فرنسا وذلك من اجل تحقيق الاستقلال الداخلي وعلى رأسهم الأمين العام للاتحاد العام للشغل " احمد بن صالح"، بالإضافة إلى بعض الشخصيات التاريخية السياسية الوطنية الأخرى مثل "الباهي الأدغم" و غيرهم من النخبة المتفرنسة[1]، حيث أيد معظم الشارع التونسي والرأي العام التونسي هذه الخطوة، واعتبرها حقن للدماء التونسيين كما اعتبرها خطوة أولية لتحقيق الاستقلال التام على راي "الحبيب بورقيبة".

ب-القسم الثاني:

هذا الشق بدوره أيد الزعيم "صالح بن يوسف" في رفضه للاتفاقيات ومواصلة الكفاح المسلح والمطالبة بالاستقلال التام وعلى رأسهم طبقة الفلاحين المتمثلة في الاتحاد التونسي لصناعة والتجارة والحزب الشيوعي وجامعة الزيتونة وقصر الباي الملكي بالإضافة إلى عناصر كبيرة من الحزب الحر الدستوري القديم[2].

كما اعلنت بعض الشعب الدستورية مقاطعتها للمكتب السياسي ونشرت برقيات في الصفحة تحمل اعداد الممضين عليها تندد بالاتفاقيات، وفي حين قررت بعض الشعب الأخرى وعدد كبير من المقاتلين العودة إلى الكفاح المسلح، بالإضافة إلى الرسائل والعرائض الممضاة من آلاف الشعب التونسي كلها تقف إلى جانب "صالح بن يوسف".

2-موقف بلدان المغرب العربي:

إن قرار عزل " صالح بن يوسف" من الأمانة العامة للحزب الدستوري الجديد تمخض عليها بأن الأحزاب الوطنية الثالثة المتمثلة في لجنة تحرير المغرب العربي في 15 أكتوبر 1956م، عقدت اجتماعا لها بالقاهرة والتي كانت مربطا للحركات التحريرية المغاربية تقرر عنه ما يلي:

[1] محمد مالكي: الحركة الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ط2، 1994، ص، 366.

[2] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص،14 .

1-فصل "الحبيب بورقيبة" وأعضاء المكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد من عضوية اللجنة.

2-نقل كل صلاحيات المكتب السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي للزعيم السياسي "صالح بن يوسف"[1].

- انعكاساته:

لقد تمخض عن الصراع بين الزعيمين العديد من الانعكاسات على المستوى الداخلي وعلى مستقبل تونس نفسها، حيث اخذ هذا الصراع بين الزعيمين التاريخين لتونس وانحرف على مساره السياسي واخذ طابع العداء بين الشخصيتين وأصبح مسالة تصفية حسابات واغتيالات ومشكلة وقت فحسب فكل طرف أصبح يتربص بأخيه ونجم عن هذا الصراع جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:

- منح تونس الاستقلال الذاتي خاصة بعدما رجحت الكفة لليوسفيين واشتدت العمليات العسكرية والتحاق بعض الزعماء والقادة المواليين " لصالح بن يوسف" بالثورة الجزائرية، حيث أدى هذا العمل إلى تخوف فرنسا من توحد الثورة بين تونس والجزائر[2]، وتخوف "بورقيبة" من امتداد الثورة الجزائرية إلى تونس، بالإضافة إلى ان هذا العمل يوحد النضال بين البلدين في ظل العمل الوحدوي للشعوب المغاربية.
- عزل النظام التونسي بعد الاستقلال عن العالم العربي إذ أراد نظام "بورقيبة" بعد الاستقلال الذاتي إدارة ظهره عن المشرق العربي، وعمق القطيعة مع الأمة العربية، وذلك بسبب لجوء صالح بن يوسف الى الجانب الروحي والوطني لتونس ولجوئه إلى القاهرة وبداية تدبيره من هناك نية لإطاحة بنظام "الحبيب بورقيبة".

[1] منصف الشابي: المرجع السابق، ص،202.

[2] الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص، 150-153.

- انهزام الحركة اليوسفية سياسيا وعسكريا من طرف نظام "الحبيب بورقيبة" المدعوم من طرف الاستعمار الفرنسي، لان فرنسا في هذه المرحلة كانت تدعم الآراء والقرارات التي يراها "بورقيبة" مناسبة خاصة فيما يخص أنصار "صالح بن يوسف" وحركته اليوسفية[1].
- كما سخرت فرنسا كل إمكانيتها العسكرية لفائدة " الحبيب بورقيبة" ولقد اكد هذا "علي بن سالم" المنال من أنصار الحركة اليوسفية بقوله " لابد من إظهار بطاقة المشاركة مع الحبيب بورقيبة" فإن لم تتحصل على بطاقة "الحبيب بورقيبة" لا يمكن لأي شخص العبور إلى أي منطقة من التراب التونسي[2] حيث كانت بالفعل في هذه المرحلة خاصة بعد توقيع الاتفاقية جميع قرارات "بورقيبة" مدعومة من طرف سلطة الحماية الفرنسية[3].
- دخول تونس مرحلة جديدة وهي مرحلة الحزب الواحد ومنع أي تواجد للأحزاب والحياة الديمقراطية داخل الشارع التونسي.
- تواصلت سلسلة وأنشطة الاغتيالات للحركة اليوسفية حيث يؤكد الدكتور " سالم الأبيض" المتخصص في علم الاجتماع إن أكثر من 60 بل 100 شخص حكم عليهم بالإعدام وتعتبر منطقة "سابط الظلام" وهي ومنطقة توجد المدينة القديمة في تونس العاصمة قرب القصبة ويوجد في هذه المدينة مقبرة مسكوت عليها إلى يوم الناس هذا فيها عشرات بل مئات القتلى من اليوسفيين مدفونين في هذا المقبرة[4].
- وصلت سلسلة الاغتيالات إلى القيادات العليا للطرفين وأكد التاريخ ظروف اغتيال الزعيم "صالح بن يوسف" في مدينة فرانكفورت الالمانية من قبل مجموعة تضم " البشير زرق العيون" و"الصادق بن حمزة" و" الطالب بن تربوط"، وكان " البشير زرق العيون" المدبر الفعلي لعملية اغتيال صالح بن

[1] محمد السعيد عقيب: محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية المغاربية، جامعة الوادي، ألقيت إلى طالبة الماستر، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، شهر ديسمبر، جانفي2013-2014.

[2] خالد عبيد: الاستعداد للمواجهة الحاسمة 1945-1956، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، د د ن، تونس، د ت ن، د ط، ص،56.

[3] محمد السعيد عقيب: المرجع السابق، شهر ديسمبر و جانفي 2013-2014.

[4] سالم الأبيض: صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق، جوان،2011 .

يوسف، وكان اليد اليمنى " للحبيب بورقيبة"، وهذا كله باعتراف زوجة الزعيم الراحل "صالح بن يوسف" السيدة " صوفية بن يوسف"، وأكدت انه في ألمانيا جاءته مكالمة هاتفية تؤكد أن " البشير زرق العيون" الذي كان يعيش في ألمانيا وهو ابن أخت أحد أقرباء " صالح بن يوسف" وألح بكثرة مجيء " صالح بن يوسف" للإعداد لقاء لتسوية الحسابات بينه وبين "بورقيبة" وقد وافق الزعيم " صالح بن يوسف" على ذلك اللقاء الذي اتفقوا فيه على أن يكون في الساعة السادسة مساء في فندق "لروايال" مقابل محطة القطار في فرانكفورت الألمانية[1]،

ويؤكد عمار السوفي ان " صالح بن يوسف" حذر من طرف الزعيم التاريخي لمصر " جمال عبد الناصر" حتى انه في البداية سلب منه جواز سفره لكي لا يسافر وقال له إن هناك عملية تدبر لك في الخفاء[2]، ويرجع تدبير "جمال عبد الناصر" لصالح بن يوسف" بعض المؤرخين انه كان يقود دولة والدولة كانت لها مخابرات والمخابرات كانت لها شيء من المعلومات الصحيحة حول ماكان يدبر "لصالح بن يوسف" في الخفاء حيث بالفعل صدقت تنبؤات "جمال عبد الناصر" في تلك المرحلة.

كما أكد الدكتور "عميرة علية" ان العملية كانت مدبرة من طرف عناصر مبعوثين من وزارة الداخلية وكان المشرف الأول على هذه العملية والمقصود بها القتل " البشير زرق العيون" وهو مناضل من مدينةجربةويعرف "صالح بن يوسف" كثيرا وكان " زرق العيون" يعرف جميع المناضلين وكان اليد اليمنى "للحبيب بورقيبة"[3].

وأثناء تواجد "بن يوسف" في نزل "لورايال" في فرانكفورت في ألمانيا وهو في أحد غرف النزل اين اعطى له موعد اللقاء قتل من الخلف ولم يرى من الذي قتله، ولم تأخر في النزول إلى زوجته "صوفية" التي تركها في إحدى المقاهي بالقرب من النزل ذهبت إلى النزل وقالت لإدارة النزل إن زوجها هنا حيث قال لها إحدى موظفي الاستقبال اذهبي

[1] صالح بن يوسف جريمة دولة: شريط وثائقي بثته قناة الجزيرة الوثائقية شهر جوان 2012.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر لبلاد المغرب، المكتبة الإسلامية، بيروت، دمشق، عمان، ط2،1996 .

[3] عميرة علية وحميدة بن علي بن عمارة: المرجع السابق، جوان 2012.

بنفسك، حيث وجدت جماعة يتكلمون اللغة العربية حيث قالت لهم يا إخوتي أحدكم يأتي معي وهي تظن أنهم تونسيين في النزل صعد معها أحدهم وفتحت الباب وصرخت بأعلى صوتها ونادت الحماية ونقل إلى المستشفى وبقي إلى غاية منتصف اليل، جاءت طبيبة للسيدة "صوفية" تتكلم اللغة الفرنسية وقالت لها " كوني شجاعة لقد مات" بالفرنسية وكان هذا في 12 أوت 1961[1]،، وأخذته إلى مصر واستقبلها "الأمير عبد الكريم الخطابي" واخذ إلى إحدى الجوامع بالقاهرة بات ليلته في المسجد ثم في الصباح شيعة جنازته وكل شخص يسمع بالجنازة يذهب في أثرها حتى وان لم يعرف مسيرة المناضل "صالح بن يوسف" حتى وصل إلى مقبرة الشهداء وكتب في "القبر عاش مجاهدا ومات شهيدا"[2].

[1] مسعودالخوند: المرجع السابق، ص-ص،140-141 .

[2] صوفية بن يوسف: صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق، جوان 2012.

المبحث الرابع: مصير الحركة اليوسفية.

لقد انهزمت الحركة اليوسفية في المواجهات السياسية والعسكرية مع النظام البورقيبي المدعوم إلى ابعد الحدود من فرنسا، وعلى الرغم مما أصاب فرنسا من انهاك وتقهقر بسبب تنامي المقاومة المسلحة في تونس وتجذر الثورة الجزائرية حتى داخل تونس.

حمل "الحبيب بورقيبة" على عاقته التفاوض مع سلطة الحماية من اجل تسوية القضية الوطنية وكان من نتائج التفاوض الاستقلال الجزئي لتونس، في أنصار " بن يوسف" يرون فكرة الاستقلال الكامل، والذي يعني تشديد النضال المسلح ضد الجيش الفرنسي ومواصلة العمليات العسكرية إلى جانب الجزائر، وتوحيد كامل المغرب العربي تحت راية العروبة، والتي لم تكن مسموحة آنذاك من طرف فرنسا، وكان اهمها أن يبقى المغرب العربي مهمشا تابعا حتى ولو من خلال التعامل النخب الحاكمة الجديدة التي انشاة علاقة قوية مع المراكز الغربية الأوروبية وخاصة الفرنسية[1].

كانت الحركة اليوسفية عاجزة عن بلورة المشروع الفكري الثقافي الذي يساهم في تأسيس خط قومي وحدوي، وبتالي يمكن اعتبارها قوة سياسية منظمة وفاعلة قادرة أن تؤثر في مستقبل تونس السياسي، وظلت الحركة اليوسفية تتخبط في الخيبات والاحباطات وفي نهاية الأمر أن هذه الحركة تعتبر حركة رفض اكثر منها بناء دولة، فهي حركة تلتف إلى الماضي أكثر في طبيعة المجتمع وغنما عوامل خارجية كانت حاسمة في تحديد المصير[2]، وخاصة مساندة سلطة الحماية والمتمثلة في فرنسا كل الآراء والتوجيهات التي كان يراها الزعيم "الحبيب بورقيبة"

ومع هزيمة المعارضة اليوسفية دخلت تونس مرحلة جديدة اتسمت بهيمنة نظام الحزب الواحد والرأي الواحد والفكر الواحد شبيها إلى حد ما بالدكتاتورية التي كان يمثلها "الحبيب بورقيبة" فالغ المظاهر الديمقراطية التي حاول أن يتظاهر بها في البداية، ومنع

[1] أحمد توفيق المدني: المعارضة التونسية نشأتها وتطورها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص،23.

[2] محسن الخمري: المرجع السابق: ص، 56.

كل تواجد الأحزاب وقمع حرية الصحافة واغلق صحف المعارضة كلها والتجاء إلى استخدام الإغراءات وإلى اعتماد أساليب الإرهاب والمطاردة والتصفية الجسدية[1]، على رأي احد الذين عاشوا زمن بورقيبة وزمن المعارضة اليوسفية وهو "الشاذلي بورقيبة" وهو شاهد عيان من جربة،أكد أن تونس عاشت الويلات فترة الصراع وحتى بعد حسم عملية الصراع لصالح "بورقيبة" بقتل الزعيم التاريخي "صالح بن يوسف" عاشت تونس فترة يمكن اعتبارها بتسلط "الحبيب بورقيبة" وسيطرته الكلية على مقاليد الحكم وأي معارة ضده تقمع مباشرة[2].

وبعد ان قام النظام البورقيبي بتصفية "صالح بن يوسف" اغتيالا في ألمانيا حدثت في تونس في نهاية عام 1962م، كانت في تونس محاولة انقلابية ذات طبيعة صغيرة وطنية غير ملتحمة بالجماهير شارك فيها عدد من العسكريين والمدنيين المنتمين إلى المعارضة اليوسفية فكانت فرصة جديدة للنظام البورقيبي، الذي أراد ان يبرهن من خلال استغلاله على قوته وجديته وكان حصاد هذه المحاولة إعدام اغلب العناصر المشاركة فيها، وكان من بين المشاركين في الانقلاب وحكم عليه بالإعدام غيابيا "الشيخ المسطاري بن سعيد" الذي توفي في دمشق في جويلية 1997[3].

وفي بداية السبعينات شكلت العناصر المتبقية من تيار المعارضة اليوسفية حركة سياسية جديدة حملت اسم (الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس) ويقول احد قادة الجبهة "عمارة ضو بن نايل" (لقد بدا نشاطنا منذ عام 1970م وكان اول نشاط علني في العام 1972م، حيث أعلن عن اسم التنظيم في بيروت عبر مجلة (بيروت المساء) وقد حملنا وقتها اسم الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس وقد توافق هذا الإعلان مع نشر ميثاق الجبهة في المجلة ذاتها[4].

[1] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص، 24.

[2] الشاذلي بن عمر بورقيبة: صالح بن يوسف جريمة دولة، المرجع السابق، جوان، 2012.

[3] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص،20 .

[4] أحمد توفيق المدني: المرجع نفسه، ص،21 .

ولقد عززت الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس علاقتها مع النظاميين الليبي والجزائري وحيث كانت تتمتع بوجود سياسي شبه علني وشبه سري في ليبيا و الجزائر وعندما اعلن في تونس عن إجراء انتخابات رئاسية في عام 1974م قدمت الجبهة القومية مرشحا اسمه " الشيخ المسطاري بن سعيد " احد رموز انقلاب عام 1962م والمحكوم عليه بالإعدام غيابيا ويقيم في المنفى متنقلا بين (طرابلس و الجزائر) ليكون منافسا للرئيس "الحبيب بورقيبة" الذي كان الحزب الاشتراكي الدستوري قد اتخذ قرار بتجديد رئاسته وانتخابه رئيسا للبلاد مدى الحياة.

وكان " الشيخ المسطاري بن سعيد" قد قدم طلب ترشيحه إلى الانتخابات الرئاسية بوساطة السفارة التونسية في الجزائر، وفي مقابلة صحفية أجرتها معه جريدة السفير اللبنانية، حيث أعلن "المسطاري" عن برنامجه الانتخابي المتمثل في نقطتين.[1].

1-إسقاط النظام البورقيبي وخياراته السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

2- إقامة مجتمع ديمقراطي قومي في تونس.

وطالب مرشح الجبهة السلطات التونسية باحترام النصوص القانوية لدستور البلاد وإفساح المجال لكل الشعب التونسي للمشاركة في الانتخابات الرئاسية، بحيث تشمل التوانسة المقيمين في الخارج والبالغ عددهم 800 ألف مشترك، كما طلب بتأليف لجنة محايدة لمراقبة الانتخابات من قبل جامعة الدول العربية

وصعق الرئيس "الحبيب بورقيبة" آنذاك من سماع مرشح تونسي محكوم عليه بالإعدام ينافسه في تلك الانتخابات الرئاسية فما كان رده إلا أن صعد الهجوم على الجبهة ورفض قبول ترشيح "المسطاري بن سعيد" في الانتخابات الرئاسية وقد ساق " بورقيبة" اتهامات إلى " الجبهة القومية لتحرير تونس" تتمثل في تبعيتها لليبيا ووفي سعيها إلى الوحدة مع ليبيا[2].

[1] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص، 20.

[2] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص،21 .

وفي غضون ذلك شنت الأجهزة القمعية التونسية حملة اعتقالات واسعة في صفوف أعضاء الجبهة في البلاد وقد تم تقديم 33 معتقلا للمحاكمة بتهمة:

1-تفجير السفارة الأمريكية ودار البيعة اليهودية ومقر الحزب الحاكم.

2- محاولة الاعتداء على رئيس الدولة الحبيب بورقيبة.

3- الانتماء إلى تنظيم غير مرخص له.

وصدرت الأحكام بحض المتهمين التي رواحت ما بين عام إلى ستة عشر عام سجنا نافذا، وكان من بين المحكوم عليهم "احمد مصباح ضوالمرغني" احد قيادي الجبهة والذي قاد عملية قفصة العسكرية عام 1980.

ورغم ما أحدثته عملية قفصة العسكرية من صدمة عنيفة هزت أركان السلطة في تونس بخياراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية إذ عجلت برحيل رئيس الحكومة "الهادي نويرة" من السلطة ومجيء "محمد المزالي" إلى رئاسة الحكومة أفريل 1980 م إلا أن الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس خسرت المعركة عسكريا وبالتالي خسرت سياسيا في عملية المواجعة مع النظام.[1]

بعد تلك المحاكمة عززت الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس علاقتها مع ليبيا حيث تركز نشاطها في الجماهيرية الليبية التي كانت تشكل قاعدة خلفية لها تحمي نفسها من هجمة النظام التونسي عليها خصوصا أن العلاقات بين ليبيا والنظام التونسي آنذاك كانت دائما متوترة بسبب إعلان " القذافي " الرئيس الليبي محاربته للرجعية العربية، كما كانت للجبهة علاقات مع بعض فصائل المقاومة الفلسطينية باستثناء حركة فتح التي كان ممثلها في تونس " الحكم بلعاوي" مرتبطا بأجهزة المخابرات التونسية، وكان يتعاون معها ضد فصائل الحركة الوطنية التونسية المعارضة فضلا عن ان فتح ذاتها لعا علاقات جيدة مع النظام التونسي واستقطبت الجبهة العديد من العناصر التونسية التي انخرطت مبكرا في صفوف التنظيمات الفلسطينية، وكذلك العمال العاملين في ليبيا وشكلت منهم لجانا

[1] عمار السوفي: المرجع السابق، ص، 79.

ثورية وقامت بتدريبهم عسكريا في معسكرات الجبهة الشعبية واسندت القيادة العامة "لأحمد جبريل " قبل ان تستأنف نشاطها العسكري، حيث نظمت وقادت عملية انتفاضة عسكرية في مدينة قفصة.

كانت الخطة تقف عند حدود أحداث صدمة لنظام "بورقيبة" في احدى مدنه المهمة التي عرفت تقليديا بالتمرد، ولكن الذين اختيروا لتنفيذها من التونسيين كانوا يعتقدون بأنهم ذاهبون لإعلان بدء الثورة المسلحة.

وبما أن الجبهة القومية التقدمية لتحرير تونس تمثل تيارات قوميا تقليديا هو امتداد طبيعي وموضوعي فكري وسياسي للحركة اليوسفية، فإنها عجزت سياسيا وتاريخيا عن ان تشكل بديلا ثوريا حقيقيا لتحرير تونس ولا نقيضا للنظام التونسي، وبما ان الأصل أي الحركة اليوسفية قد انهزم فلا بد للامتداد الذي تفرغ عنه أي الجبهة القومية لتحرير تونس من ان ينهزم أيضا ولو بعد فترة من الزمن[1].

[1] أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص-ص، 26-29.